جماعة (إخوان الصفّا وخِلّان الوفا) ورسائلهم
دراسة سوسيولوجية فكرية في النشأة والتطوّر

م.د. حاتم كاطع موسى البخاتي

The Brethren of (Ikhwan al-safa wa khulan al-wfa) and Their Epistles
A Sociological and Intellectual Study of Their Origin and Development

Dr. Hatem G. Albokhaty

Abstract: In light of the deteriorating social and political conditions that the Islamic world witnessed during the 3rd and 4th centuries of the Hijra, a group known as (The Brothers of "Ikhwan al-safa wa khulan al-wfa") emerged. This group surrounded itself with an aura of secrecy and confidentiality. It appears to have been numerous and composed of individuals from various strata of society. However, there is insufficient historical evidence regarding the origin of this group, the number of its members, its prominent figures, and its goals. As a result, several theories emerged to determine the identity, direction, and doctrine of this group. The group also established an internal system, and scholars and researchers have disagreed on the objective and purpose behind the formation and organization of the Brothers of Purity. Perhaps the reason for this disagreement lies in the diversity of sciences and knowledge presented in their epistles, which covered various fields of knowledge at that time.As for the epistles attributed to this group, they did not carry the names of their authors or author. This led to significant differences regarding the identity of the author or authors of these letters, their identities, and their doctrinal affiliations. Consequently, several theories have been put forward by various writers and researchers, both Muslim and non-Muslim, to determine the identity of the authors of the Epistles of the Brothers of Purity. Disagreement also arose regarding the time of the composition of these epistles. Numerous studies have emerged addressing the content of these epistles, their number, their structure, and their editions. The research also pointed out some formal and substantive issues related to these epistles.

Article history
Received: 21 /1/2024
Accepted: 13/2/2025
Published : 31 /3/2025

تواريخ البحث

تاريخ الاستلام: **2024/1/21**

تاريخ القبول: **2025/2/13**

تاريخ النشر : **2025/3/31**

الكلمات المفتاحية: إخوان الصفا وخلان الوفا، رسائل إخوان الصفا، الإسلام، الدين، الفلسفة- الكتمان، السرية.

Keywords : (Ikhwan al-safa wa khulan al-wfa) ,Rsail Ikhwan al-safa, Islam, Religion, Philosophy, Concealment, .Secrecy

© 2023 THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE

http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

Corresponding author: Dr. Hatem G. Albokhaty
hatam.qat@alfiqh.edu.iq

DOI:

https://doi.org/10.61710/174V9N1

ملخص البحث

في ظل الظروف الاجتماعية والسياسية المتدهورة التي شهدها العالم الإسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجريين ظهرت جماعة عرفت بـــ (جماعة إخوان الصفا وخلان الوفا) أحاطت نفسها بهالة من الكتمان والسرية، ويبدو أنها كثيرة العدد ومن مختلف طبقات المجتمع، إلاّ انّه لا توجد أدلة تاريخية كافية عن كيفية نشوء هذه الجماعة، وعدد أعضائها وأهم شخصياتها وأهدافها، فتجلت عدة نظريات في معرفة هوية هذه الجماعة وتوجهاتها وعقيدتها، كما وضعت لنفسها نظاما داخلياً محكماً، واختلف العلماء والباحثون في تحديد هدف إخوان الصفا والغاية من تشكيلهم وتنظيمهم، ولعل السبب يرجع إلى تنوع العلوم والمعارف التي طرحوها في رسائلهم التي شملت جوانب متعددة من العلوم والمعارف في ذلك الوقت.

أما الرسائل التي سميت باسم هذه الجماعة لم تحمل أسماء مؤلفيها أو مؤلفها؛ فلذا حدث الاختلاف الشديد في معرفة مؤلف أو مؤلفي هذه الرسائل، وهويتهم ومذاهبهم، من هنا وجدت عدة نظريات لعدد من الكتاب والباحثين من المسلمين وغيرهم في تحديد هوية مؤلفي رسائل إخوان الصفا، كما حدث الاختلاف في زمن تأليف هذه الرسائل، وتمظهرت بحوث عدة في مضامين هذه الرسائل وعددها وصياغتها وطبعاتها، وأشار البحث إلى بعض الإشكالات الشكلية والمضمونية حول هذه الرسائل.

مقدّمة

شهد القرن الثالث والرابع الهجريان من تاريخ المسلمين انفتاحاً واسعاً في مجال العلم والمعرفة، بعد اتساع الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية وازدياد التفاعل بين الشعوب والحضارات القديمة كالحضارة الفارسية والهندية واليونانية والرومانية وغيرها، واتساع نطاق الترجمة وانتشار المكتبات، فكانت الحركة العلمية في أوجها، ولكن في المقابل كان الوضع الاجتماعي والاقتصادي للمسلمين قد شهد تدهوراً كبيراً، فالخلافة العباسية فقدت هيبتها وقوتها وأصبحت الأمور تدار بيد الأمراء والوزراء وقادة الجيش، والخليفة لا حول له ولا قوّة، كما أنّ جسد الدولة الإسلامية تقطّع إلى قطع وأوصال متناثرة تدار من قبل القادة والأمراء من أصحاب القوة والنفوذ، وهذا بدوره أثّر على الحياة الاجتماعية والاقتصادية لعامّة الناس فانتشرت البدع والمذاهب والآراء الشاذة وكثر الغلاء وساءت الأحوال المعيشية وفقد الأمن والاستقراء في عموم المناطق بسبب التقلبات السياسية المستمرّة.

إنّ هذه الأوضاع غير المتوازنة لابد أن تدفع بعض الناس إلى التفكير في إيجاد حلّ أو طريقة يعتقدون أنها تعيد الأمور إلى نصابها، فظهرت في هذه الحقبة الزمنية رسائل علمية وفكرية تدعى

رسائل إخوان الصفا كردّة فعل عمّا تعرّض له المجتمع الإسلامي من مشاكل وصعوبات على الأصعدة، كافة , وسنحاول في هذا المقال أن نعطي لمحة موجزة عن هذه الرسائل ومؤلفيها ومحتواها والمغزى والهدف من وراء ظهورها وبعض الجوانب المرتبطة بها.

مصطلح إخوان الصفا وخلان الوفا:

إن التركيب اللغوي لـــ (إخوان الصفا) قد ورد بشكل واسع في الكلام العربي شعراً ونثراً ومنذ عصر الجاهلية، فقد ورد في الشعر الجاهلي قول الشاعر:

لعمرك ما آسى طفيل بنفسه ووودع إخوان الصفا بقرزل

بني عامر إذ ثابت الخيل تدّعي يمرّ كمريخ الوليد المفزع

وقال آخر:

أولئك إخوان الصفا رزئتهم وما الكفّ إلاّ إصبع ثم إصبع (معصوم، 1988، صفحة 67)، وكذلك وردت كلمة إخوان الصفا في النثر في ترجمة ابن المقفع لكتاب كليلة ودمنة في باب الحمامة المطوقة (قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف: حدثني عن إخوان الصفا كيف يبدأ تواصلهم...) (معصوم، 1988، صفحة 68) وجاء في دعاء للفارابي أيضاً، قال: (اللهم أنقذني من عالم الشقاء والفناء، واجعلني من إخوان الصفاء وأصحاب الوفاء وسكّان السماء مع الصدّيقين والشهداء) (معصوم، 1988، صفحة 68)، ويرى المستشرق جولد تسهير Goldzihe أن إخوان الصفا أخذوا تسميتهم من قصة الحمامة المطوّقة؛ لأن هذه القصة تدور حول ما إذا كانت الحيوانات قد صفت إخوّتها وتبادلت المعونة فيما بينها... تستطيع الفكاك من شباك الصياد وغيرها من المخاطر، كما أنّ فيها الإيثار؛ إذ الحمامة تطلب إلى الجرذ أن يقطع شباك صديقاتها قبل شبكتها وتقدّم نجاتهمّ على نجاتها (معصوم، 1988، صفحة 68)، ويعتقد العالم الفرنسي (بارون كارادوو) في كتابه (مفكرو الإسلام) أنّ كلمة إخوان تعادل كلمة philos وكلمة الصفا تعادل Sophia، وترجم العالم الفرنسي (هنري كاربن) عبارة إخوان الصفا وخلان الوفا إلى (إخوان الخلوص وأصدقاء الوفاء) وقد أشكل البعض هنا على كلمة الخلوص، ولكن الخلوص هنا ليس بمعنى الطهر والعفاف وإنما في مقابل الكدورة بمعنى أن من يطالع هذه الرسائل ويتعلمها تحصل على الإخوة الصافية والقلب النقي. (ثقفي، 1376 ش، صفحة 147).

من أخوان الصفا؟

لابد لنا من التفرقة بين أعضاء جماعة إخوان الصفا وبين مؤلفي رسائل إخوان الصفا، فإخوان

الصفا من خلال عدد من الأدلة يظهر أنهم جماعة كثيرة العدد ومن مختلف طبقات المجتمع، ومن غير الواضح أيهما أسبق؟ فهل المجموعة كانت سبباً في ظهور الرسائل أم الرسائل هي التي أثّرت في المجتمع فكونت جماعة إخوان الصف، نعم من بعض الشواهد والأدلة يتّضح أنّ وضع الرسائل كان متأخراً نسبياً عن تكون الجماعة ونشأته، إلاّ أنّه مع هذا لا توجد أدلة تاريخية كافية عن كيفية نشوء هذه الجماعة وعدد أعضائها وأهم شخصياتها وأهدافها؛ لأنها أحاطت نفسها برداء من الغموض والسرية، ولا يعلم سبب هذه السرية، هل بسبب العداء للسلطة الحاكمة؛ فاتخذت من السرية والغموض وسيلة للحفاظ على نفسها، أم أنّها استعملت السرية والغموض لإثارة الجدل حولها وإضفاء نوع من القداسة والروحانية من خلالها تؤثر في الأشخاص فتستقطبهم، ما جعل الباحثين في حيرة من أمرهم إزاء هذه الجماعة وطبيعتها، ولعل أهمّ إشارة واهمها إلى ماهية هذه الجماعة وتكوينها هو ما ورد في الرسائل نفسها حيث جاء في الرسالة الثامنة والأربعين: (إنّ لنا إخواناً وأصدقاءً من كرام الناس وفضلائهم متفرقين في البلاد، فمنهم طائفة من أولاد الملوك والأمراء والوزراء العمال والكتاب، ومنهم طائفة من أولاد الأشراف والدهاقين والتجار والتُنّاء، ومنهم طائفة من أولاد العلماء والأدباء والفقهاء وحملة الدين، ومنهم طائفة من أولاد الصنّاع والمتصرّفين وأمناء الناس) (إخوان الصفا، 1957، صفحة 165/ ج4)، وأما أقدم نصّ تاريخي من خارج الرسائل يشير إلى طبيعة هذه الجماعة فهو رواية أبي حيان التوحيدي المتوفى سنة (414هـ) التي يقول فيها: (إخوان الصفا جماعة سرية نشأت بالبصرة ولها فروع في أكثر البلاد أسّسها زيد بن رفاعة الذي أقام بالبصرة، وصادف فيها جماعة جامعين لأصناف العلم وأنواع الصناعة...) (أبو حيان التوحيدي، 2005، صفحة 5/ ج2)، وزيد هذا كان في الري، وأقام

بالبصرة زمناً طويلاً، واعتقد رأي الفلاسفة، أثنى عليه أبو حيان التوحيدي، ووصفه باتقاد الذهن والتبصر في الآراء والتصرف في كل فن. (الأعلام، 1980م، صفحة 9/ ج3)، وكما ترى فإنها مع ذلك إشارات مبهمة وغامضة عن مكونات هذه الجماعة، ولكن الذي يمكن الإشارة إليه انّ هذه الجماعة بما أنها كانت سرية فإنها كانت معارضة للسلطة الحاكمة آنذاك، كما يبدو أنها تنظيم جماعي اسهم فيه مجموعة من الأشخاص ولم يؤسسها شخص واحد؛ لذا يعتقد الدكتور محمود إسماعيل أن التوحيدي أخطأ في القول انّ زيد بن رفاعة هو مؤسس هذه الجماعة؛ لأن نشأتهم كانت جماعية، على أن زيداً نزل البصرة بعد مرحلة التأسيس، وصادف فيها جماعة الإخوان. (إسماعيل، إخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي، 1996، صفحة45).

وأما عدد هذه الجماعة فمن باب أولى لا يمكن الوقوف عليه، ومع هذا فإن الدكتور فؤاد معصوم ينقل عن المؤرخ الهندي خدا بخش أنه ذهب إلى أن عدد إخوان الصفا أربعون شخصاً، ولكنه لم

يوضح لنا [والكلام للدكتور معصوم] هل هذا العدد الكلي أم عدد الهيئة التأسيسية أم عدد الهيئة العليا للجماعة؟ (معصوم، 1988، الصفحات 45- 46).

زمان نشأة إخوان الصفا ومكانهم:

من خلال بعض الشواهد والأدلة يتبين لنا أنّ وضع الرسائل واكتمال تأليفها كان متأخراً نسبياً عن تكون الجماعة ونشأتها، وسوف نتكلّم حول زمان نشأتهم ومكانهم أو زمن تأليف الرسائل الذي من خلاله يتّضح زمن ظهورهم.

إنّ الاختلاف كما حصل في هويتهم ومذهبهم حصل في زمان نشأتهم ومكانهم، أما في تحديد الزمن الذي بدأ فيه نشاط إخوان الصفا وظهورهم فطرحت عدة آراء، أهمّها:

الرأي الأول: أوائل القرن الثاني أو أوائل القرن الثالث الهجريين، وهو ما ذهب إليه بعض كتاب الإسماعيلية كعارف تامر وغيره الذين ربطوا تأليف الرسائل بأئمتهم الذين عاشوا في ذلك الزمن، وضربوا عدة أمثلة وشواهد على ذلك من داخل الرسائل ومن خارجها.

الرأي الثاني: أن مرحلة التأسيس لهذه الجماعة بدأٌ بعد سنة (232هـ) أي بعد تولي المتوكل العباسي (232 هـ / 847 م ـــــــــــــــ247 هـ / 861 م) الذي أحيى المذهب السني وقام باضطهاد المذاهب الأخرى وأهل الذمة، وفي هذه المدة ظهر القادة الأتراك الذين كرّسوا النظام الإقطاعي وقمعوا حركات المعرضة وأخذوا يتحكّمون بالخليفة ونظام الحكم وبدأت تظهر إمارات الاستيلاء من قبل هؤلاء القادة، فظهرت الحركات المعارضة للنظام القائم كحركة الزنج التي ظهرت سنة 255ه وغيرها، فخلّف ذلك الوضع حالة من التذمر والشعور بعدم الرضا عن الوضع القائم، ما ادى الى تأسيس جماعة إخوان الصفا، ومن يذهب إلى هذا الرأي الدكتور محمود إسماعيل في كتابه إخوان الصفا روّاد التنوير في الفكر العربي. (إسماعيل، إخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي، 1996، الصفحات 48- 49)

الرأي الثالث: وهو ما يذهب إليه أغلب الباحثين من أن إخوان الصفا نشأوا في القرن الرابع الهجري ومنهم من يحدده في النصف الثاني منه، ويرى عمر الدسوقي أن نشاط الإخوان كان بين سنة (334هـ) سنة دخول البويهيين (334 ـــــــــــ 454) إلى بغداد، وبين سنة (373هـ) (معصوم، 1988، صفحة 60)، كما يؤيد هذا الرأي الدكتور عمر فروخ الذي يميل إلى أنّ إخوان الصفا نشأوا وانقرضوا في زمن الدولة البويهية التي كانت تعطف عليهم. (فروخ ، 1983، صفحة 379)، ولم يبيّن دليله على ذلك، ولكن هذا الرأي لا يمكن قبوله من جهة أنهم انقرضوا في تلك المدة؛ لأن إخوان الصفا

لم يكشفوا أسماءهم ولم يكونوا معروفين بين الناس.

الرأي الرابع: وهو ما يذهب إليه ابن تيمية ويرتضيه الدكتور فؤاد معصوم وهو أن الرسائل قد ألّفت في القرن الرابع الهجري حيث يقول حول زمن تصنيف الرسائل انّ : (العلماء يعلمون أنها إنّما وضعت بعد المائة الثالثة زمان بناء القاهرة، وقد ذكر واضعها فيها ما حدث في الإسلام من استيلاء النصارى على سواحل الشام. (ابن تيمية، 2004، صفحة 134/ج 35)، ومعروف أن جوهر الصقلي (ت 381هـ) بدأ ببناء القاهرة سنة (358هـ) وكان استيلاء الروم على بلاد الشام بدأ سنة (351هـ)، فيكون وضع الرسائل قد وقع في الفترة ما بين سنة (353هـ) وسنة (357هـ)، ثم قال الدكتور فؤاد معصوم: وهذا الرأي هو الذي نرتضيه وتشهد به نصوص الرسائل. (معصوم، 1988، صفحة 64).

الرأي الخامس: وهو ما يذهب إليه المستشرق كازانوفا Casanova حيث يرى أن الرسائل قد ألّفت في المدة الواقعة ما بين سنة(418هـ) وسنة (427هـ) اعتماداً على تحليل بعض الظواهر الفلكية وعلى بعض العبارات الواردة في الرسائل التي جاء فيها (ومن الشيعة من يقول إن الإمام المنتظر مختفٍ من خوف المخالفين، كلا بل هو ظاهر بين ظهرانيهم يعرفهم وهم له منكرون) التي استظهر منها أنّ كلمة (الظاهر) إشارة إلى الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله الذي حكم في المدة الواقعة بين سنة (418هـ) وسنة (427هـ) بعد الحاكم بأمر الله (386هـ ـــــــــــ 411هـ)، وتبعه في ذلك المستشرق البريطاني برنارد لويس Bernard lewis، ولكن هذا في الواقع يتعارض مع النصّ التاريخي الوارد عن أبي حيان التوحيدي المتوفى سنة (414هـ) عندما دار الحديث بينه وبين وزير صمصام الدولة البويهي سنة (373هـ) الذي يؤكد أن الرسائل قد ألفت في ذلك الزمان (معصوم، 1988، صفحة 60).

ولكن الذي يبدو لي أنّ الذي أدّى إلى وقوع هذه الآراء المختلفة هو اعتماد الكثير منها على الرسائل نفسها، وهو أمر ليس بصحيح؛ لأنّه من الممكن أن يكون تأليف الرسائل قد استغرق تلك المدة الطويلة ثم جمعت في فترة متقاربة ومما يؤيد هذا الرأي هو اختلاف النقل في عدد الرسائل المؤلفة.

وأما مكان نشأة هذه الجماعة فإنّ أصرح نصّ يشير إلى ذلك هو نصّ أبي حيان التوحيدي الذي يذكر أنّ هذه الجماعة تكونت في البصرة (أبو حيان التوحيدي، 2005، صفحة 5/ ج2)، ويعزو الدكتور محمود إسماعيل ذلك إلى أنّ البصرة كانت موئلاً للحركات الثورية المعارضة للخلافة العباسية والعسكر التركي، كما أنّها كانت مركزاً تجارياً وفكرياً نشطا، (إسماعيل، إخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي، 1996، صفحة 45)، وإن استبعد الدكتور محمود هذا الرأي كما تقدم، ثم إنه قد يفهم من

كلا م التوحيدي أنّ مقرّ الجماعة قد انتقل فيما بعد إلى بغداد لأنه ورد في كلامه أنه التقى بزيد بن رفاعة وتكلم معه مع أن أبا حيان لم يعرف عنه أنه ذهب إلى البصرة، مضافاً إلى أنه أشار إلى أنّهم قد بثوا هذه الرسائل بين الورّاقين، وسوق الوراقين في بغداد في باب البصرة حيث كان هناك مائة ورّاق بحوانيتهم. (معصوم، 1988، صفحة 66).

النظام الداخلي لجماعة إخوان الصفا:

نظراً لاتخاذ جماعة إخوان الصفا نهجاً مغايراً للوضع القائم في زمانهم، فكان لابد لهم أن يعتمدوا السرية والحيطة والحذر في عملهم وتحركهم ويستعملوا التنظيم الدقيق والصارم في توزيع الأدوار والمهام وإيصال المعلومات، فاعتمدوا في تنظيماتهم وتحركاتهم على آليات شبيهة بالآليات التي تستعملها الأحزاب والمنظمات في العصر الحديث، كالسرية، والتنظيم والتسلسل الهرمي، وضوابط اختيار الأفراد.

فكان هدفهم الأول كسب الشباب كونهم قوة خلاقة فاعلة متقبّلة فحدَّدوا سنَّ القبول بسنِّ الخامسة عشرة، فهم يؤمنون أن الله ما بعث نبيّاً إلاّ وهو شاب، ولا أُعطِيَتْ حكمةٌ إلا لشابّ، وأن المشايخ أول مَن كذَّب الرسل والأنبياء، فجاء في الرسائل (ينبغي لك ألاّ تُشغَل بإصلاح المشايخ الهرمة، الذين اعتقدوا منذ الصبا آراء فاسدة، وعادات رديئة، وأخلاقاً وحشة؛ ولكن عليك بالشباب السَّالمي الصدور، الراغبين في الآداب...) (إخوان الصفا، 1957، صفحة 56/ ج2). وبعد كسب مجموعة من المريدين وجذبهم تعقد لهم اجتماعات منتظمة (ينبغي لإخواننا أيّدهم الله حيث كانوا أن يكون لهم مجلس يجتمعون فيه في أوقات معلومة لا يداخلهم فيه غيرهم) (إخوان الصفا، 1957، صفحة 14/ ج4)، و(أن تجعل لك مجلساً تجتمع فيه جماعتهم كلّ اثني عشر يوماً يوماً واحداً) (إخوان الصفا، 1957، الصفحات 295-296/ ج2).

ويكون لكل واحدة من هذه المجموعات رئيس يتلقّى التعليمات، ويقوم بإيصالها إلى مجموعته (إنّ الذي علينا أن نوصيك به ونلقيه إليك ونبلّغك إيّاه، ونعتمد عليك في مراعاة إخوانك من قبلك ومن أصحابك ومن استجاب إليك ويستجيب إن شاء الله) (إخوان الصفا، 1957، الصفحات 295- 296/ ج2)، ثمّ يتمّ اختيار رئيس مجموعة جديدة من بين هؤلاء ويبعث إلى مناطق أخرى ولكنه لا يقع الاختيار عليه إلاّ بعد أن يمرّ باختبار صعب لابد من اجتيازه حتى ينال ثقة الإخوان ويسلّم مهام مجموعة جديدة (فإذا أنت استخلصت منهم طائفة ورضيت سعيهم بعد إيقاعك المحنة بهم في أمور دنياهم، ومواضع المحبوبات منهم فعلها في المطلوبات، فأمرتهم ببعد الأقارب المحبوبين، وصلة الأباعد في الله وامتثلوا، ونفقة الأموال في سبيله فأنفقوا، والجهاد بالأنفس فبذلوا، والسعي فيما يرضي

الله فسمعوا، والخروج من الأوطان فخرجوا... فعند ذلك إذا صبروا على هذه المحن فاهدهم بعلمك، واتلوا عليهم حكمتك واقرأ عليهم الكتب المصونة والأسرار المخزونة والعلوم المكنونة...فإذا قبلوا ذلك عنك ورأيته مصوّراً فيهم مستقرّاً عندهم، فاجعل على كل جبلٍ منهم جزءاً ثمّ ادعهن يأتينك سعياً) (إخوان الصفا، 1957، الصفحات 295– 296/ ج 2).

وكانت هناك تعليمات خاصة لهؤلاء الرؤساء تختلف عن التعليمات التي تلقى لباقي الأعضاء، فكان من بين تلك التعليمات أن يبقى غير معروف لباقي أعضاء المجموعة وأن لا يطّلعوا على تفاصيل حياته؛ وذلك حفاظاً على أمنه وأمن مجموعته (واحرص أن تباعد بين معرفتهم بك وبينهم لئلا يطّلعوا عليك كما اطّلعت عليهم، فيأتوك من حيث أمنت؛ لأنه ليس كلّ من يصاحبك يحقّ لك أن تثق به وتطمئنّ إليه) (إخوان الصفا، 1957، صفحة 460/ ج4)، وحفاظاً على سرّية هذه التعليمات التي كانت تصل إلى أعضاء الجماعة، وخوفاً من أن تقع بيد الأعداء كانت تكتب هذه التعليمات بحروف خاصة ورموز معينة اتفقوا عليها وهو ما يعرف اليوم بـــ (الشفرة) (ورأينا أن نكتب ما نريد... بحروف ركّبناها وبكلمات نظمناها) (إخوان الصفا، 1957، صفحة الرسالة الجامعة).

وقد قسموا أنفسهم إلى مراتب أربعة حسب أعمارهم وتدرجهم في السلّم التنظيمي للجماعة، وهذه المراتب هي:

الأولى: مَن يملكون صفاء جوهر نفوسهم وجودة القبول وسرعة التصور، ولا يقل عمر العضو فيها عن خمسة عشر عاماً, ويُسمَّوْن بالأبرار والرحماء، وينتمون إلى طبقة أرباب الصنائع.

الثانية: مَن يملكون الشفقة والرحمة على الإخوان، وأعضاؤها من عمر ثلاثين فما فوق, ويُسمَّوْن بالأخيار الفضلاء، وطبقتهم ذوو السياسات.

الثالثة: مَن يملكون القدرة على دفع العناد والخلاف بالرفق واللطف المؤدّي إلى إصلاحه. ويمثل هؤلاء القوة الناموسية الواردة بعد بلوغ الإنسان الأربعين من العمر، ويُسمَّوْن بالفضلاء الكرام، وهم الملوك والسلاطين.

الرابعة: المرتبة الأعلى هي التسليم وقبول التأييد ومشاهدة الحق عياناً، وهي قوة الملكية الواردة بعد بلوغ الخمسين من العمر، وهي الممهِّدة للصعود إلى ملكوت السماء، وإليها ينتمي الأنبياء.

ويرى الدكتور فؤاد معصوم أن إخوان الصفا قد تأثّروا في هذا التقسيم بنظرية أفلاطون في التربية والتعليم، فجعل مراحل التعليم ثلاثة:

المرحلة الأولى: وتبدأ من الولادة إلى سنّ العشرين، حيث يدرس التلميذ في هذه المرحلة الدراسات الإنسانية والتربية البدنية والموسيقى.

المرحلة الثانية: وتبدأ هذه المرحلة من العشرين إلى الثلاثين، وتخصص هذه المرحلة لدراسة الرياضيات والعلوم.

المرحلة الثالثة: تبدأ من الثلاثين إلى الخمسين، حيث تخصص خمس سنوات منها لدراسة الفلسفة، ثم تخصص الخمس عشرة سنة الباقية للجانب التطبيقي، للأعمال الإدارية والقيادة الحربية، وحينما ينجح أصحاب هذه المرحلة في حياتهم العملية خلال تلك السنوات الخمس عشرة كنجاحهم في الدراسات النظرية يرتقون إلى المرحلة الأخيرة، وهي مرتبة الحكام... (معصوم، 1988، الصفحات 74–75)، بينما يقول البرفسور سيد حسين نصر: إنّ المرء يرى في هذا التصنيف، التقسيم المعروف بين الحرفيين والملكيين والمريدين الكهنوتيين الذي ساد في أوروبا في العصور الوسطى (نصر، 2020، صفحة 6).

هدف إخوان الصفا وغايتهم:

اختلف العلماء والباحثون في تحديد هدف إخوان الصفا وغايتهم من تشكيلهم وتنظيمهم، ولعل السبب يرجع إلى تنوع العلوم والمعارف التي طرحوها في رسائلهم والتي شملت جوانب متعدد من العلوم والمعارف في ذلك الوقت؛ لذا تعددت الآراء والأقوال بشأن هدفهم وغايتهم، ومن هذه الأقوال:

القول الأول: إنّ هدف إخوان الصفا كان هدفاً سياسياً هو قلب نظام الحكم القائم، وإقامة نظام مكانه يقوم على أساس العدل والمساواة، ومن ذهب إلى هذا الرأي الدكتور طه في مقدمته على كتاب إخوان الصفا (حسين، 1928، صفحة 8/ ج1)، ولكن الذي نلحظه على هذا الرأي أنّ الإخوان لم يقوموا بأعمال تساعدهم ووسائل تحقق لهم هذه الغاية كالتنظيم العسكري أو القيام بالثورات والانتفاضات ولو على نطاق محدود، الأمر الذي يفضي إلى قلب نظام الحكم.

القول الثاني: إنّ غاية إخوان الصفا التقريب بين الدين والفلسفة، في عصر ساد فيه الاعتقاد أن الدين والفلسفة لا يتفقان كما قيل: (من تمنطق فقد تزندق)، لهذا فهم يعرّفون الفيلسوف على أنه الحكيم، وأن الفلسفة هي التشبُّه بالإله على قدر الطاقة البشرية، وبالاستشهاد بأقوال الفلاسفة، كسقراط وأرسطوطاليس وأفلاطون وفيثاغورس وغيرهم التي تصبّ في نهر الحكمة. وقد أكدوا أن علومهم التي طرحوها في الرسائل هي مفاتيح للمعرفة، لا ينبغي التوقف عندها، بل الترقِّي في سلّم الصعود إلى الحالة الأخيرة الملكية، ولعل هذا هو ما فهمه أبو حيان التوحيدي حين قال: (إنهم قالوا: إنّ الشريعة قد

دنّست بالجهالات واختلطت بالضلالات، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلاّ بالفلسفة؛ وذلك لأنها حاوية للحطمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية، وزعما أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال) (أبو حيان التوحيدي، 2005، صفحة 5/ ج2).

القول الثالث: وهو قول أكثر المستشرقين بأنّ غاية إخوان الصفا هي غاية معرفية روحية، وهي سعادة نفوسهم الخالدة (معصوم، 1988، صفحة 306)، لذا ينفون عنهم الغرض والهدف السياسي اذ يقول ديبور عنهم: (كانت جماعة مضطهدة وسرّية لا دعوة سياسية لها) (إسماعيل، نهاية أسطورة نظريات ابن خلدون مقتسبة من نظريات إخوان الصفا، 2021، صفحة 24).

القول الرابع: إن هدف إخوان الصفا كان هدفا تربوياً يرنو إلى إعداد الإنسان جسداً وروحاً من خلال تحديد مشاكل العصر وإيجاد الحلول لها، وتحديد الكيان العقلي والاجتماعي للمدينة الفاضلة التي يحاول الإخوان إقامتها (معصوم، 1988، صفحة 306)، لذا يقول البرفسور سيد حسين نصر: إن هدف أخوان الصفاء، وفقًا لتعريفهم الخاص بهم، هو هدف تربوي، بكلِّ ما تحمله هذه الكلمة من معنى؛ أي الوصول بملَكات الإنسان الكامنة إلى مرحلة التفتح والكمال (نصر، 2020، صفحة 6). ومن الصعب الجزم بأي من تلك الأهداف للغموض الذي يلف حركة هذه الجماعة، وما أظهروه في رسائلهم.

رسائل إخوان الصفا:

تشبه رسائل إخوان الصفا إلى حدّ ما دائرة معارف فلسفية علمية مكوّنة من اثنتين وخمسين رسالة تتناول أربعة أنواع من المواضيع هي: (الرسائل الرياضية التعليمية, والرسائل الجسمانية الطبيعية, والرسائل النفسانية العقلية, والرسائل الناموسية الإلهية) .

وتتضمن الرسائل التعليمية الرياضية (14) رسالة في العدد والهندسة وعلم النجوم والجغرافيا والموسيقى والنسبية والأخلاق..

وتليها الرسائل الجسمانية الطبيعية فتضم (17) رسالة في الصورة والحركة والسماء والعالم والكون والفساد والآثار العلوية والمعادن والطبيعة والنبات والحيوان والجسد ومختلف المعارف.

ثم الرسائل النفسانية والعقلية وتشتمل على (10) رسائل في مبادئ الموجودات العقلية والفلسفة والعقل والأدوار والعشق..

وأمّا الرسائل الناموسية الإلهية والشرعية الدينية، فتتضمن(11) رسالة في الآراء والمذاهب والطريق إلى الله، وكيفية عشرة الأخوان، وماهية الإيمان وخصال المؤمنين وغيرها.

وقال البرفسور سيد حسين نصر: وقُسِّمَتْ هذه الأنواع بدورها إلى:

أ. العلوم الأساسية:

1. القراءة والكتابة
2. النحو والمعجمات
3. المحاسبة والمعاملات التجارية
4. العروض والقياس
5. عقائد طالع الخير وطالع الشر
6. عقائد السحر والتنجيم والتمائم والحيل وما شابهها
7. الأعمال والحِرَف
8. التجارة والزراعة وما شاكلها
9. القصص والسير الذاتية

ب. العلوم الدينية:

1. علم التنزيل
2. علم التفسير
3. الحديث
4. القانون والتشريع
5. الزهد والتصوف
6. تفسير الأحلام

ت. العلوم الفلسفية:

1. الرياضيات المكونة من الرباعيات (أو المربعات)
2. المنطق
3. العلوم الطبيعية؛ وهذه تُقسَم إلى سبعة أجزاء هي:

أ. علم المبادئ الجسمانية: ويهتم بالمبادئ التي تحكم الأجسام، ويتكون من معرفة الهيولى [وهي المادة الأولى] والصورة والزمان والمكان والحركة.

ب. علم السماء: ويتكون من علوم النجوم وحركة الكواكب وأسباب صفة استقرار الأرض وغيرها.

ت. علم الكون والفساد: ويتكون من معرفة الأركان الأربعة وتغيرها، والمعادن والنبات والحيوان التي منها تأتي إلى الوجود.

ث. علم الحوادث الجوية: ويتكون من معرفة تغيرات الطقس بتأثير النجوم والرياح والرعد والبرق وغيرها.

ج. علم المعادن

ح. علم النبات

خ. علم الحيوان

4. العلوم الإلهية:

أ. علم الروحانيات

ب. علم النفسانيات

ت. معرفة الله وصفاته

ث. علم السياسة: ويتكون من علم النبوة، والرياسة العامة والخاصة، والإنسان نفسه (نصر، 2020، الصفحات 9-11).

وقد قسّم إخوان الصفا الفلسفة إلى ثلاث درجات: الدنيا: محبة الحكمة، والوسطى: معرفة حقائق الموجودات بحسب الطاقة الإنسانية، والعليا: القول والعمل بما يوافق العلم.

ويتضح للباحث من خلال ملاحظة رسائل إخوان الصفا تأثّرهم الكبير بآراء فيثاغورس وأفلاطون وأرسطو وفلسفتهم (ثقفي، 1376 ش، صفحة 155)، بل هم يعترفون اعترافاً صريحاً بذلك في رسائلهم.

مؤلفو رسائل إخوان الصفا ومذاهبهم:

إنّ رسائل إخوان الصفا لم تحمل أسماء مؤلفيها أو مؤلفها كما هي العادة في الكتب والمصنفات التي تحمل أسماء مؤلفيها، وهو ما يؤكّد منهج القائمين عليها من اعتماد الكتمان والسرية في عملهم، ولا يمكن عدّهم مجرّد نقلة لما موجود في الكتب السابقة؛ لاختلافهم في المنهج والمحتوى عمّا سبقهم من المؤلفين؛ لذا حدث الاختلاف الشديد في معرفة مؤلف أو مؤلفي هذه الرسائل، وهويتهم ومذاهبهم، وهذا الاختلاف كانت جذوره ضاربة في القدم؛ ولذا نجد جمال الدين القفطي المتوفى سنة (646هـ) يقول: (ولمّا كتم مصنفوها أسماءهم اختلف الناس في الذي وضعها [الرسائل] فكل قوم قالوا قولاً بطريق الحدس والتخمين...) (القفطي، 2005، صفحة 58)، ومن هنا وجدت عدة نظريات لعدد من الكتاب والباحثين من المسلمين وغيرهم في تحديد هوية مؤلفي رسائل إخوان الصفا:

النظرية الأولى: أنّ مؤلفي الرسائل هم أئمة الإسماعيلية، وقد بذل الباحث الإسماعيلي عارف تامر جهداً كبيراً في إثبات ان رسائل إخوان الصفا من تأليف أئمة الإسماعيلية، حتى قال البرفسور حسين نصر: (فقد أوْرَدَ عارف تامر، على سبيل المثال، رواية مفصَّلة ومقنعة حول طبيعة الرسائل الإسماعيلية، مُطلِقًا على محتوياتها تسمية (الفلسفة الإسماعيلية) (نصر، 2020، صفحة 4)، وقد تبع عارف تامر كاتب إسماعيلي آخر في هذا الاعتقاد هو الدكتور مصطفى غالب في بعض مؤلفاته،

وسبقهم إلى ذلك المستشرق الروسي إيفانوف Ivanov، وقد شكك الدكتور فؤاد معصوم في جميع الأدلة التي ساقها إسماعيل تامر وناقشها (معصوم، 1988، الصفحات 48–51)، بينما يؤكد البرفسور حسين نصر أن الأكثرية العظمى من علماء الغرب ترى أن لإخوان الصفاء ورسائلهم علاقة بالحركة الإسماعيلية. وقد دافع كازانوفا Casanova عن هذا الموقف منذ العام 1915م، تلاه في ذلك كلٌّ من جولد تسيهر Goldziher وماكدونالد MacDonald ولين بول Lane–Poole وماسينيون Massignon وإيفانوف Ivanov؛ وهؤلاء من أشهر الباحثين المعروفين في هذا الميدان (نصر، 2020، صفحة 5).

النظرية الثانية: أن مؤلفي رسائل إخوان الصفا من المعتزلة، وقد ذكر هذا الرأي جمال الدين القفطي حين قال: (قال آخرون هي تصنيف بعض متكلمي المعتزلة في العصر الأول) (القفطي، 2005، صفحة 58)، ولكن قسم من الباحثين يرى خطأ هذا الحكم؛ لأن المعتزلة كانت لهم دعوتهم السرية الخاصة قبل تأسيس حركة إخوان الصفا، ولكنه لا يمانع من انضمام بعض المعتزلة إلى إخوان الصفا؛ لأنهم كانوا روّاد النظر العقلي في الفكر الإسلامي (إسماعيل، إخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي، 1996، صفحة 53)، ويرى البرفسور السيد حسين نصر أنّ من المستشرقين من يؤيد هذا الرأي، فقال: وتُعد مقالة فلوغل Flügel بشأن إخوان الصفاء من الدراسات الألمانية المبكرة التي لعبت دوراً مؤثراً في العقود التالية، أذ أكّد طبيعة الرسائل العقلانية والمعتزلية، بيد انا إذا أخذنا بعناية المعتزلة وميولها العقلانية، من جهة، وبآراء إخوان الصفاء حول علوم الكونيات وما وراء الطبيعة، من جهة أخرى، فإنّ رأي فلوغل يصبح من أصعب الأمور قابلية للفهم، ومع ذلك، فقد أيَّد هذا الرأي علماء من القرن العشرين، مثل براونBrowne ونيكلسون Nicholson (نصر، 2020، صفحة 3).

النظرية الثالثة: أن مؤلف الرسائل هو الإمام الصادق (عليه السلام) أو من أتباعه الشيعة الاثني عشرية، وهذا الرأي أبعد ما يكون من الصواب، فمحتوى الرسائل ومضمونها يختلف اختلافاً جذرياً عما عهد عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بل وحتى أتباعهم، ثم أن هناك شواهد في نفس الرسائل تعرّض بالشيعة الاثني عشرية وتنتقدها على بعض معتقداتها وممارساتها العبادية (ومن الناس طائفة قد جعلت التشيّع مكسباً لهم مثل النائحة والقصاص...وجعلوا شعارهم لزوم المشاهد وزيارة القبور كالنساء الثواكل...) (إخوان الصفا، 1957، صفحة 198/ ج4).

النظرية الرابعة: إنّ إخوان الصفا هم صابئة حرّان، وقد تبنّى هذا الرأي الباحث محمد عبد الحميد الحمد في كتابه الموسوم (صابئة حران وإخوان الصفا)، وقد استعرض فيه أوجه التشابه بين صابئة حرّان ومعتقداتهم وبين اعتقادات إخوان الصفا من خلال رسائلهم، وقام بتفنيد بقية النظريات الأخرى

حول هوية إخوان الصفا ومذهبهم (الحمد ، 1998، صفحة 145).

النظرية الخامسة: أنّ مؤلفي الرسائل هم من مجموعة من الأشخاص ذكرهم أبو حيان التوحيدي في كتابه الإمتاع والمؤانسة حينما سأله أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان وزير صمصام الدولة البويهي الذي تولى الوزارة حدود سنة (373هـ) والذي كان مهتماً بالفلسفة، سأله عن زيد بن رفاعة، فقال: (إنّي لا أزال أسمع من زيد ابن رفاعة قولاً يريبني ومذهباً لا عهد لي به... فقد بلغني أنك تغشاه وتجلس إليه وتكثر عنده... قلت: هناك ذكاء غالب وذهن وقّاد... قال: فعلى هذا ما مذهبه؟ قلت: لا ينسب إلى شيء ولا يعرف برهط... وقد أقام بالبصرة زماناً طويلاً وصادف بها جماعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة، منهم أبو سليمان محمد بن معشر البستي، ويعرف بالمقدسي، وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني، وأبو أحمد المهرجاني، والعوقي وغيرهم، فصحبهم وخدمهم.

وقد كانت هذه العصابة قد تآلفت بالعشرة... فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قرّبوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله، والمصير إلى جنته... وصنّفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة علميّها وعمليّها، وأفردوا لها فهرستاً، وسمّوها رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، وكتموا أسماءهم وبثّوها في الورّاقين، ولقّنوها للناس، وادّعوا أنّهم ما فعلوا ذلك إلاّ ابتغاء وجه الله عزّ وجل، وطلب رضوانه...) (أبو حيان التوحيدي، 2005، صفحة 18/ ج2)، ويؤيد كلام أبي حيان التوحيدي البيهقي المتوفى سنة (565هـ) والخوارزمي المتوفى سنة (617هـ) الذي يقول عن رسائل إخوان الصفا: (صنّفها جماعة من الحكماء، منهم أبو سليمان بن محمد بن مسعر المقدسي، وأبو حسن علي بن هارون الزنجاني، وأبو أحمد النهرجوري وزيد بن رفاعة، وألفاظ هذه الرسائل للمقدسي) ويذهب إلى هذا الرأي أيضاً القفطي والشهرزوري المتوفى سنة (684هـ) وابن العبري المتوفى سنة (685هـ) (معصوم، 1988، صفحة 54)، ولكن بعض هؤلاء المذكورين ليس له وزن اجتماعي أو علمي وبعضهم لعله غير معروف، ولذلك لاحظ المستشرق ماكدونالد MacDonald أنه ليس بين هؤلاء المذكورين شخصية معروفة على نطاق واسع وذات وزن اجتماعي مرموق (معصوم، 1988، صفحة 58).

وعلى أية حال فلا يمكن الجزم بهوية ومذهب مؤلف أو مؤلفي رسائل إخوان الصفا لتضارب الآراء واختلافها بشأنهم وأن قطع بعض الباحثين ببعض الآراء كما لاحظنا استناداً إلى أدلة ساقها واقتنع بها، كما أنك تلاحظ البون الشاسع بين هذه الأدلة والآراء مما يجعل المرء شاكّاً غير جازم بأي منها.

النظرية السادسة: أنّ مؤلفي الرسائل هم مجموعة سرّية ينتمي أفرادها لعدة مذاهب تبنّت منهجاً وفكراً خاصاً لا ينحاز إلى فئة أو مذهب بعينه ولا يتعصّب لمذهب عل حساب المذهب الآخر بعدما

رأوا الأمة تمزّقها الاختلافات والصراعات المذهبية والطائفية، فقالوا في بعض رسائلهم: (وبالجملة ينبغي لإخواننا – أيّدهم الله تعالى – ألاّ يعادوا علماً من العلوم وألاّ يتعصّبوا على مذهب من المذاهب؛ لأن رأينا ومذهبنا يستوعب المذاهب والعلوم كلها ((إخوان الصفا، 1957، صفحة 84/ ج1) من هنا قال الدكتور محمود أسماعيل: إنّها حركة علمانية ترفض جميع الدعاوى العصبية والمذهبية والعرقية والدينية (فالناجي في الآخرة من كان جامعاً لفضائل الأمم والأديان كلّها) (إسماعيل، نهاية أسطورة نظريات ابن خلدون مقتسبة من نظريات إخوان الصفا، 2021، صفحة 25).

عدد رسائل إخوان الصفا:

وقع اختلاف بين العلماء في عدد رسائل إخوان الصفا، ففي الطبعة الهندية والمصرية واللبنانية توجد (52) رسالة، بينما يوجد في كتاب خلاصة الوفا في رسائل إخوان الصفا للمستشرق الألماني ديتريصي Diterici أن عدد الرسائل هو إحدى وخمسون رسالة والظاهر أنه حصل دمج بين قسم من الرسائل (معصوم، 1988، صفحة 94)، ويؤيد الدكتور عادل العوا أن يكون عدد الرسائل هو إحدى وخمسون رسالة، ويرى أن هذا العدد من الرسائل هو الذي أباحوه وبثّوه بين الورّاقين (العوا، 1993، صفحة 287). وقد مرّ معنا أن أبا حيان التوحيدي ذكر أنّ عدد الرسائل هو (خمسون رسالة في جميع أجزاء الفلسفة...) (أبو حيان التوحيدي، 2005، صفحة 18/ ج2)، والأمر ليس مهمّاً إلى تلك الدرجة، فقد يكون قد حدث دمج أو تفريق بين الرسائل.

الرسالة الجامعة:

هناك رسالة باسم الرسالة الجامعة قد جاء ذكرها في الرسائل مرات عديدة، ويصفها الإخوان بأنها (جامعة لما في هذه الرسائل المتقدمة كلها والمشتملة على حقائقها، والغرض منها إيضاح حقائق ما أشرنا إليه... ملخصة مستوفاة مهذّبة ببراهين هندسية يقينة، ودلائل فلسفية حقيقية وبيانات علمية، وحجج عقلية...والرسالة الجامعة من رسائلنا هي منتهى الغرض لما قدّمناه، وأقصى المدى ونهاية القصد وغاية المراد) (معصوم، 1988، صفحة 106)، فالرسالة الجامعة بناءً على هذا لم تؤلف للمبتدئين وإنما ألّفت لمن أخذوا قسطاً من العلم، وحازوا على مرتبة أعلى من أولئك الذين خاطبتهم الرسائل.

وقد ذكرت رسالة أخرى اسمها جامعة الجامعة حققها الكاتب الإسماعيلي عارف تامر وادّعى أنها لإخوان الصفا الأمر الذي لم يوافق عليه كثير من المحققين، قال الدكتور عادل العوا: (أمّا جامعة الجامعة فإن الأرجح أنها ليست من تأليف الإخوان أنفسهم، وإنّما يغلب الظن بأنها من وضع متأخر)

(العوا، 1993، صفحة 287).

لغة الرسائل وصياغتها:

يرى طه حسين أن الرسائل كتبت بأسلوب أدبي سلس (وعنى كتابها بألفاظها وأساليبها عناية أدبية خاصة، ففيها خيال كثير وتشبيه متقن...) (حسين، 1928، صفحة 16/ ج1)، بينما يرى المستشرق أوليري Oleary أن لغة الرسائل لغة معقّدة وغامضة ولعلها عمّيت عمداً بقصد حجب التعاليم الروحية عن ذوي الأرواح المعتمة (معصوم، 1988، صفحة 98)، ولا شك ان الإخوان قد استمعلوا الأسلوب الرمزي، واعتماد طرح القصص والحكايات على ألسنة الحيوانات حماية لأنفسهم من الوضع السياسي والاجتماعي القائم آنذاك، لذا قالوا في الرسالة الجامعة: (إنّ المراد من ذكر البهائم هو أمثال مضروبة ودلالات مكتوبة على أمثالها في الحلقة البشرية والأشخاص الإنسانية) (معصوم، 1988، الصفحات 101-102).

أمّا صياغة الرسائل وأسلوبها فمن الواضح أن هذه الرسائل لم تكن لشخص واحد وإنما ألّفها مجموعة من الكتاب كلّ كاتب في اختصاصه كما يفهم ذلك من كلام أبي حيان التوحيدي المتقدم، لكنّ الخوارزمي والشهرزوري ينصّان على أنّ المقدسي هو من تولى صياغة هذه الرسائل، ويرجح الدكتور فؤاد معصوم هذا الرأي معتمداً على بعض الخصائص الأدبية واللغوية، التي منها:

1ــ إنّ الرسائل اتسمت بأسلوب واحد ونسق خاص، فأسلوب البدء والختام كان واحداً في جميع الرسائل، فتبدأ أكثر الرسائل بـــ (الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى...) وكذلك تبدأ بعبارة (اعلم أيها الأخ البار الرحيم أيّدك الله وإيّانا بروح منه) وتختتم الرسائل عادة بالقول (وفّقك الله وإيّانا وجميع إخواننا سبيل الرشاد).

2ــ وجود إحالات في بعض الرسائل على رسائل أخرى مما يدلل على أنّ الكاتب شخص واحد، وغير ذلك من الشواهد التي ذكرها (معصوم، 1988، الصفحات 102- 103).

مصادر رسائل إخوان الصفا:

لقد حدد الإخوان مصادر رسائلهم فقد ذكروا في الرسالة الثانية أن علومنا مأخوذة من أربعة كتب:

الاولى :الكتب المصنفة على ألسنة الحكماء والفلاسفة من الرياضيات والطبيعيات، والثانية: الكتب المُنزَلة التي جاءت بها الأنبياء (عليهم السلام) مثل التوراة والإنجيل والفرقان وغيرها من صحف الأنبياء المأخوذة معانيها بالوحي من الملائكة، وما فيها من الأسرار الخفية، والثالثة : الكتب الطبيعية،

وهي صور أشكال الموجودات وما هي عليه الآن من تركيب الأفلاك وأقسام البروج، وحركات الكواكب ومقادير أجرامها، وتصاريف الزمان، واستحالة الأركان، وفنون الكائنات، من المعادن والحيوان والنبات، وأصناف المصنوعات على أيدي البشر، والنوع الرابع الكتب الإلهية التي لا يمسها إلا المطهّرون الملائكة التي هي بأيدي سفرة كرام بررة، وهي جواهر النفوس وأجناسها.

يوجد إذاً أربعة كتب استقى منها أخوان الصفا علومهم، وهي: كتب الرياضيات والعلوم التي كُتِبَتْ قبلهم، والكتب المقدّسة، والمُثُل أو الأفكار"الأفلاطونية لأشكال الطبيعة، وكتب الوحي من الملائكة (نصر، 2020، الصفحات 12– 13).

طبعات رسائل إخوان الصفا:

صدرت عدة طبعات من رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء،أولها في العام 1812 في كلكاتا Calcutta (الهند) وتبعتها إصدارات مهمة وضعت باللغة الألمانية من قبل المستشرق فريدريك ديتيريصي Friedrich Dieterici)في الفترة الممتدة بين 1861 و 1872م.

أما النسخة المحقّقة والكاملة الأولى من رسائل إخوان الصفا فقد طبعت في أربعة مجلدات (مطبعة نخبة الأخبار) من 1887 إلى 1889 في بومباي Bombay (الهند)، من تحقيق ولاية حسين، وبعد ذلك نشرت طبعة القاهرة في العام 1928 (المطبعة العربية بمصر)، وقد حققها خير الدين الزركلي وقدمها عميد الأدب العربي طه حسين، فضلا عن مقدمة من تأليف أحمد زكي باشا.

أما الطبعة الأكثر تداولاً بين أصحاب الاختصاص في دراسة إرث إخوان الصفاء تعود إلى نصوص الرسائل التي حققها بطرس بستاني ونشرتها دار صادر في بيروت في العام 1957م.

وهنالك أيضاً طبعة حققها عارف تامر وأصدرتها منشورات عويدات في بيروت في العام 1995م، ويجب الإشارة أيضاً في هذا السياق بأنّ كل الطبعات المتوافرة حاليا (أي حتى أواخر العام 2008م) من رسائل إخوان الصفاء غير محققة بشكل نقدي من حيث أنها لا تبرز المخطوطات التي أُعتمد عليها في تقديم محتويات نصوص الرسائل وتعدد معانيها والاختلافات في صياغاتها؛ ونظرا إلى ذلك الحال قام الباحث نادر البزري ببلورة مشروع أكاديمي يضم فريق عمل من أساتذة متخصصين بالبحث في شؤون تاريخ العلوم والفلسفة عند العرب، وذلك لإصدار رسائل إخوان الصفاء في طبعة محققة نقدياً وعلمياً، وتستند إلى مجموعة من المخطوطات القديمة ومعظمها محفوظ في مكتبات ومتاحف اسطنبول العريقة، وتضاف إليها الترجمة الإنجليزية التامة والأولى لهذا الإرث العلمي.

هذا المشروع تبنّته دار النشر العريقة التابعة لجامعة أكسفورد (Oxford University Press) في

بريطانيا بالتعاون مع معهد الدراسات الإسماعيلية في لندن عن طريق سلسلة علمية (عنوانها Epistles of the Brethren of Purity)، وقد صدر المجلد الأول من هذه السلسلة في عام 2008 من تحقيق نادر البزري (عنوانه .The Ikhwan al-Safa' and their Rasa'il(النور، 2021).

ملاحظات نقدية:

توجد بعض الملاحظات التي يمكن أن تسجّل على الجانب الشكلي والفني والمضموني لرسائل إخوان الصفا نذكر قسما منها على سبيل المثال وبشكل مختصر:

أــ الملاحظات الشكلية والفنية:

1ــ استعملت في الرسائل لغة رمزية جعلت كثيرا منها عبارة عن ألغاز لا يستطيع فهمها كثير من الناس.

2ــ كثرة الاستطرادات، فهم يتحدثون عن موضوع ثمّ يدخلون في موضوع آخر ولذا كانوا يقولون: (فلنرجع إلى ما كنّا فيه).

3ــ عدم التناسق بين الرسائل من حيث الحجم، فبعض الرسائل كبيرة الحجم وبعضها صغيرة.

4ــ إن مؤلفي رسائل إخوان الصفا هم مجموعة من العلماء المتخصصين في شتى العلوم؛ فتراهم يطرقون مواضيع عديدة ولكن لم يعطوا كل موضوع حقه من البحث، قال أبو حيان عن الرسائل: (رأيت جملة منها، وهي مبثوثة من كل فن بلا إشباع ولا كفاية، وفيها خرافات وكنايات وتلفيقات، وحملت عدة منها إلى شيخنا أبي سليمان المنطقي السجستاني محمد بن بهرام وعرضتها عليه، فنظر فيها أيّاماً وتبحّرها طويلاً ثمّ ردّها عليّ، وقال: تعبوا وما أغنوا، ونصبوا وما أجدوا، وحاموا وما وردوا، وغنّوا وما أطربوا...) (أبو حيان التوحيدي، 2005، صفحة 19/ ج2).

5ــ قسّموا العلوم إلى ثلاث مجموعات، فجعلوا علم الحرف والصنايع والحرث والنسل من أنواع علم الآداب، ولكن عندما انتقلوا إلى موضوع علوم الطبيعيات، عادوا وأدخلوا الحرث والنسل وعلم الصنايع من جملتها.

ب ــ الملحوظات المضمونية والمحتوائية:

1ــ إنّ أكثر رسائل إخوان الصفا هي عبارة عن ترجمات عن اللغات الهندية واليونانية والسريانية والصابئية؛ لذا كانت أكثر مضامين هذه الرسائل مزيجاً من الفلسفة اليونانية والعقيدة الباطنية الذي ينتج

مذهباً جديداً يمزج الهيات اليونان ونظريات أفلاطون وأرسطو وفيثاغورس وغيرهم بالعقيدة الإسلامية في خليط مضطرب وفاسد، وربما هو فكر يخرج صاحبه عن الإسلام إلى حدّ الكفر، وأكثر من يوجه لها هذا النقد هم السلفية، يقول الذهبي عن قراءة رسائل إخوان الصفا: (وهو داء عضال، وجرب مرد (الذهبي، 1995، صفحة 328/ 19).

2ــ معارضة رسائل إخوان الصفا لكثير من مضامين الإسلام، التي منها:

أولاً: إنكار البعث بالأجساد.

ثانياً: تفسير الجنة والنار والآخرة تفسيرًا مخالفاً لما تواتر عند المسلمين.

ثالثاً: تفسير الكفر والعذاب تفسيراً باطنياً معنوياً.

رابعاً: فساد نظريتهم القائلة بأن النبوة يمكن أن تكتسب عن طريق الرياضة وصفاء القلب.

خامساً: فساد قولهم بأن من ارتقى إلى علم الباطن سقط عنه التكليف واستراح من أعبائه (الحندي ، 1999).

3ــ العمل على صهر الأديان جميعاً في فكر ومنهج واحد، وربما يبدو أن إخوان الصفا وعن طريق رسائلهم جماعة تدعو إلى التعددية الدينية والمذهبية.

4ــ أهملوا علم الكلام ولم يفردوا له مقالاً، نعم أشاروا إلى علم آخر خارج أجناس العلوم سمّوه الجدل، وعرّفوه بأنه معرفة الدعاوى والسؤلات والجوابات والدليل الغرض منه غلبة الخصم.

5ــ أضافوا إلى الكليات الخمسة لفظاً سادساً وهو الشخص، وهذا أمر غير مألوف في علم المنطق، وغير ذلك من الإشكالات.

وعلى أية حال فإن رسائل إخوان الصفا بمجموعها تشكّل شيئاً غير مألوف في العالم الإسلامي في ذلك الوقت، وتعدّ بحق علامة بارزة على ما وصل إليه المسلمون من الحضارة والتمدّن في القرن الثالث أو الرابع الهجريين، وما ابتكروه من علوم ومعارف سبقوا غيرهم في الوصول إليها.

الخاتمة ونتائج البحث:

أسفر البحث في طبيعة جماعة إخوان الصفا ورسائلهم عن عدد من النتائج، هي:

1ــ يكون الوضع الاجتماعي والاقتصادي المتدهور للأمم والشعوب عاملاً مساعداً على انتشار البدع والمذاهب والآراء الشاذة.

2ــ جماعة إخوان الصفا وخلان الوفا كانت لغزاً محيّراً في تاريخ المسلمين الاجتماعي والسياسي والفكري، بغموضهم وأفكارهم وسماتهم ورسائلهم.

3ــ أحاطت جماعة إخون الصفا نفسها بهالة من الكتمان والسرية مما فتح الباب واسعاً لتعدد الآراء في حقيقتهم ونشأتهم وأهدافهم وغاياتهم وبالتالي جعلوا انفسهم مجموعة جدلية في التاريخ .

4ــ وضعت الجماعة لنفسها نظاماً داخلياً محكماً ومنظماً، يكشف عن قدرة هذا الجماعة على الإعداد والتنظيم والتربية.

5ــ تشبه رسائل إخوان الصفا إلى حدّ ما دائرة معارف فلسفية علمية مكوّنة من نيف وخمسين رسالة تتناول موضوعات مختلفة.

6ــ مثّلت رسائل إخوان الصفا مادة دسمة للبحث والتحقيق في مضامينها ومحتوياتها، وكل باحث كانت له وجهة نظر تنطلق ربما من تصوراته وخلفياته الفكرية.

7ــ سجل البحث عدداً من الملحوظات الشكلية والمضمونية حول هذه الرسائل.

المراجع

1. أحمد ابن تيمية. (2004). مجموع الفتاوى، ط2. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
2. إخوان الصفا. (1957). رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء،. بيروت: دار صادر.
3. أنور الحندي . (4 يناير, 1999). رسائل إخوان الصفا مؤامرة على الإسلام. منار الإسلام.
4. جمال الدين علي بن يوسف بن إبراهيم القفطي. (2005). إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
5. خير الدين الزركلي . (1980). الإعلام، ط5، بيروت، دار العلم للملايين.
6. سيد حسين نصر. (2020). رسائل أخوان الصفاء هويتها ومحتواها، ط1. عمان: وقفية الأمير غازي للفكر القرآني.
7. سيد محمد ثقفي. (صيف, 1376 ش). آراء ونظريات إخوان الصفا. الحكومة الإسلامية.
8. شمس الدين محمد بن أحمدبن عثمان الذهبي. (1995). سير أعلام النبلاء، ط3. بيروت: مؤسسة الرسالة.
9. صادق النور. (21 اغسطس, 2021). منتدى آل راشد. تم الاسترداد من موقع منتدى آل راشد: https://aalrashed.ahlamontada.com/t3058-topic
10. طه حسين. (1928). رسائل إخوان الصفا، ط1. القاهرة: الطبعة المصرية.
11. عادل العوا. (1993). حقيقة إخوان الصفا، ط1. الأهلي للطباعة والنشر والتوزيع.
12. عمر فروخ. (1983). افكر العربي، ط4، بيروت: دار العلم للملايين.

13. علي بن محمد بن العباس أبو حيان التوحيدي. (2005). الإمتاع والمؤانسة، ط1. بيروت: المكتبة العصرية.
14. فؤاد معصوم. (1988). إخوان الصفا فلسفتهم وغايتهم ، ط1. دمشق: دار المدى للثقافة والنشر.
15. محمد عبد الحميد الحمد . (1998). صابئة حران وإخوان الصفا، ط1. دمشق: مطبعة الاهالي للطباعة والنشر.
16. محمود إسماعيل. (1996). إخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي. القاهرة: عامر للطباعة والنشر.
17. محمود إسماعيل. (2021). نهاية أسطورة نظريات ابن خلدون مقتسبة من نظريات إخوان الصفا، ط1. الكويت: رؤية للنشر والتوزيع.